

البداية والنهاية

إِذْ فِي قَلْبِهِ وَحْدٌ نَفْسَهُ بِالسَّمِيرِ إِلَيْهِمْ لَمَّا أَرَادَ إِذْ أَنْ يَنْتَقِمَ بِهِ مِنْهُمْ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ
أَرْمِيَا إِنِّي مَهْلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَنْتَقِمٌ مِنْهُمْ فَقَمِ عَلَىٰ صَخْرَةٍ بَيْتِ الْمَقْدِسِ يَا تَيْكُ أَمْرِي وَوَحْيِي
فَقَامَ أَرْمِيَا فَشَقَّ ثِيَابَهُ وَجَعَلَ الرَّمَادَ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَخَرَّ سَاجِدًا وَقَالَ يَا رَبِّ وَدَدْتُ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي
حِينَ جَعَلْتَنِي آخِرَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَكُونُ خَرَابٌ بَيْنَ الْمَقْدِسِ وَبَوَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَجْلِي
فَقَالَ لَهُ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَيَكِي ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ مَنْ تَسَلَطَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ عَبْدُ النَّيْرَانِ لَا
يَخَافُونَ عِقَابِي وَلَا يَرْجُونَ ثَوَابِي قُمْ يَا أَرْمِيَا فَاسْتَمِعْ وَحْيِي أَخْبِرْكَ خَيْرًا وَخَبِرْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ
قَبْلِ أَنْ أَخْلُقَكَ اخْتَرْتُكَ وَمَنْ قَبْلُ أَنْ أَصُورَكَ فِي رَحْمِ أُمِّكَ قَدَسْتُكَ وَمَنْ قَبْلُ أَنْ أَخْرُجَكَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ
طَهَرْتُكَ وَمَنْ قَبْلُ أَنْ تَبْلُغَ نَبَأُكَ وَمَنْ قَبْلُ أَنْ تَبْلُغَ الْأَشَدَّ اخْتَرْتُكَ وَالْأَمْرَ عَظِيمَ اجْتَبَيْتُكَ فَقَمِ مَعَ
الْمَلِكِ تَسُدُّهُ وَتُرَشِّدُهُ فَكَانَ مَعَ الْمَلِكِ يَسُدُّهُ وَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ إِذْ حَتَّىٰ عَظُمَتِ الْأَحْدَاثُ وَنَسُوا مَا
نَجَّاهُمْ إِذْ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِمْ سَنَحَارِيِبَ وَجَنُودَهُ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَرْمِيَا قُمْ فَاقْصِصْ عَلَيْهِمْ مَا أَمَرَكَ بِهِ
وَذَكَرَهُمْ نِعْمَتِي عَلَيْهِمْ وَعَرَفَهُمْ أَحْدَاثَهُمْ فَقَالَ أَرْمِيَا يَا رَبِّ إِنِّي ضَعِيفٌ إِنْ لَمْ تَقْوِنِي عَاجِزٌ إِنْ لَمْ
تَبْلُغْنِي مَخْطِئَةً إِنْ لَمْ تَسُدِّدْنِي مَخْذُولٌ إِنْ لَمْ تَنْصُرْنِي ذَلِيلٌ إِنْ لَمْ تَعِزَّنِي فَقَالَ إِذْ تَعَالَىٰ أَوْ لَمْ
تَعْلَمِ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا تَصْدُرُ عَنْ مَشِيئَتِي وَأَنَّ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ كُلَّهُ لِي وَأَنَّ الْقُلُوبَ وَاللُّسُنَ كُلَّهَا
بِيَدِي فَاقْلِبْهَا كَيْفَ شِئْتَ فَتَطِيعْنِي فَانَا إِذْ الَّذِي لَيْسَ شَيْءٌ مِثْلِي قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ
بِكَلِمَتِي وَانَّهُ لَا يَخْلُصُ التَّوْحِيدَ وَلَمْ تَتَمَّ الْقُدْرَةُ إِلَّا لِي وَلَا يَعْلَمُ مَا عِنْدِي غَيْرِي وَأَنَا الَّذِي كَلِمَتِي
الْبَحَارُ فَفَهَمْتُ قَوْلِي وَأَمْرَتَهَا فَفَعَلْتُ أَمْرِي وَحَدَدْتُ عَلَيْهَا حُدُودًا فَلَا تَعْدُو حُدُودِي وَتَأْتِي بِأَمْوَاجٍ
كَالْجِبَالِ فَإِذَا بَلَغَتْ حُدُودَ أَلْبَسْتَهَا مَذَلَّةً لَطَاعَتِي وَخُوفًا وَاعْتِرَافًا لِأَمْرِي وَإِنِّي مَعَكُمْ وَلَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ
شَيْءٌ مَعِي وَإِنِّي بَعَثْتُكَ إِلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ مِنْ خَلْقِي لِتَبْلُغَهُمْ رِسَالَاتِي فَتَسْتَوْجِبُ لَذَلِكَ أَجْرًا مِنْ اتِّبَاعِكَ
وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا انْطَلِقْ إِلَىٰ قَوْمِكَ فَقَمِ فِيهِمْ وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ إِذْ قَدْ ذَكَرْتُمْ بِصَلَاحِ
آبَائِكُمْ فَلِذَلِكَ اسْتَبَقَاكُمْ يَا مَعْشَرَ أَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَكَيْفَ وَجَدَ آبَاؤُكُمْ مَغْبَةً طَاعَتِي وَكَيْفَ وَجَدْتُمْ
مَغْبَةً مَعْصِيَتِي وَهَلْ وَجَدُوا أَحَدًا عَصَانِي فَسَعِدَ بِمَعْصِيَتِي وَهَلْ عَلِمُوا أَحَدًا اطَاعَتِي فَشَقَىٰ بِطَاعَتِي إِنْ
الدَّوَابُّ إِذَا ذَكَرَتْ أَوْطَانَهَا الصَّالِحَةَ نَزَعَتْ إِلَيْهَا وَإِنْ هُوَ الْقَوْمُ رَتَعُوا فِي مَرُوجِ الْهَلَكَةِ
وَتَرَكُوا الْأَمْرَ الَّذِي بِهِ أَكْرَمْتَ آبَاءَهُمْ وَابْتَغَوْا الْكِرَامَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَمَّا أَحْبَابُهُمْ وَرَهْبَانُهُمْ
فَاتَّخَذُوا عِبَادِي خَوْلًا يَتَعَبَّدُونَهُمْ وَيَعْمَلُونَ فِيهِمْ بِغَيْرِ كِتَابِي حَتَّىٰ أَجْهَلُوهُمْ أَمْرِي وَأَنْسُوهُمْ ذِكْرِي
وَسَنَتِي وَعِزُّهُمْ عِنِّي فَدَانَ لَهُمْ عِبَادِي بِالطَّاعَةِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِي فَهَمَّ يَطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَتِي .
وَأَمَّا مَلُوكُهُمْ وَأَمْرَاؤُهُمْ فَبَطَرُوا نِعْمَتِي وَأَمَّنُوا مَكْرِي وَغَرَّتْهُمْ الدُّنْيَا حَتَّىٰ نَبَذُوا كِتَابِي
وَنَسُوا عَهْدِي فَهَمَّ يَحْرَفُونَ كِتَابِي وَيَفْتَرُونَ عَلَىٰ رُسُلِي جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَىٰ وَغْرَةٍ بِي فَسَبَّحَانَ جَلَالِي وَعَلُو

مكاني وعظمة شأني هل ينبغي أن يكون لي شريك في ملكي وهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي
وهل ينبغي لي